

# نظرات في كتاب المدرسة النحوية في مصر والشام في القرنين السابع والثامن من الهجرة للأستاذ عياد الشبتي

من الكتب التي وقعت في يدي أخيراً كتاب للدكتور عبد العال سالم مكرم عنوانه : « المدرسة النحوية في مصر والشام في القرنين السابع والثامن من الهجرة » .

والكتاب رسالة جامعية نال بها المؤلف درجة الماجستير سنة ١٩٦٢م ولم تطبع إلا في العام المنصرم ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م .

وقد عنت لي أثناء مطالعة الكتاب بعض الملاحظات أثرت ان أورد أهمها سائلاً العلي القدير التوفيق والسداد . وهذا بعض ما عن لي من تلك الملاحظات .

وذلك بالاطلاع عليها ، والافادة منها » .

قلت : كان الأولى ان يترك الثناء على عمله لغيره .

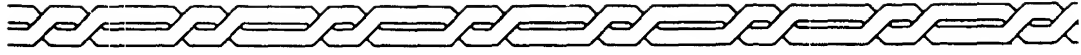
(٣) ص ٣٥ س ٣ قال : « وجاء بعده تلميذه عبد الرحمن الأنباري المتوفى سنة ٥٧٧ هـ فوضع كتاباً في قواعد اللغة ، وآخر في تاريخ العلوم العربية منذ نشأتها ، ووضع رسالة خاصة بالجدل العلمي بين مدرستي البصرة والكوفة في بعض مواضيع النحو والصرف » .

قلت : استقى المؤلف معلوماته من مجلة الأزهر ، ولو رجع الى المصادر القديمة كان أجدى ولوجد ما يلي :

(أ) ما أشار اليه بقوله : « . . . وآخر في تاريخ العلوم العربية منذ نشأتها » هو كتاب أبي البركات بن الأنباري الموسوم بـ « نزهة الألبا في

(١) قدم المؤلف لكتابه بمقدمة بين فيها أن إطلاق « مدرسة » على الحركة النحوية في مصر والشام في القرنين السابع والثامن الهجريين فيه تجوز إذ لا بد في المدرسة من وجود أصول عامة ، وسمات مميزة تطبع منهاجها بطابع خاص ، ثم اعتذر عن هذا التجوز بأنه أراد ان يرسم إطاراً للحركة النحوية في الفترة التي تناولها يميزها عن الحركات الأخرى ، التي شهدتها البصرة والكوفة وبغداد فلم يجد كلمة تفي بذلك غير كلمة مدرسة . وليس هذا العذر كافياً في تبرير تجوز المؤلف الذي كان بإمكانه أن يسمي رسالته « النحوي في مصر والشام . . . » .

(٢) في ص ٧ س ٢١ قال : « ويسرني أن أسجل في هذا المقام أن هذه الرسالة وهي مخطوطة في مكتبة كلية دار العلوم ألقت ضوءاً كبيراً على البحوث النحوية التي ظهرت فيما بعد متناولة نحو هذين القرنين وأعلامهما ،



وبين ان الكتاب في كلام ابن خلكان يعني كتاب الجمل لابي القاسم الزجاجي الذي جعل الجزولي مقدمته حواشي عليه كما ذكر السيوطي في البغية ( ٢ : ٢٣٦ ) ومن اطلع على الجزولية عرف انها تسير على نسق جمل الزجاجي .

(٦) ص ٥٢ س ٦ قال : « . . . التي إن دلت على شيء فانما تدل على . . » قلت : يريد انها تدل دلالة واضحة ، وعبارته لا تؤدي هذا المعنى فان الشرطية تفيد الشك ، ولا تدل على الجزم .

(٧) ص ٥٢ س ١١ - ١٤ قال : « . . . ولا أدل على مكانة الرجل بين قومه انه لما حضرته الوفاة ، وعرضت كتبه للبيع حضرها الجم الغفير من الاجلاء بمصر في ذي القعدة سنة ٥٨٢ هـ » ومن غير شك ان تهافت هذا الجم الغفير على كتبه دليل ملموس على قيمة هذه الكتب التي تضمها مكتبته ، ومنزلة هذا الرجل في نفوس مواطنيه ، لان حفظ آثاره والتنافس على اقتنائها دليل الحب والتقدير .

قلت : ليس حضور الجم الغفير مبيع كتب الرجل دليلا على حبهم له او تقديرهم اياه بقدر ما هو دليل على نفاسة الكتب ورغبة الناس في اقتنائها .

(٨) ص ٥٤ س ٦ ذكر ان ابن معطي في دمشق كان مشغولا بكسب العيش وقال : « ولم يكن له مصدر وحيد يرتزق منه غير أداء الشهادات » .

قلت : يريد ولم يكن له مصدر يرتزق منه ، وكلمة « وحيد » إفساد لما اراد .

طبقات الأدبا » وليس الكتاب - وإن تكلم ابو البركات في مستهله عن نشأة النحو - في تاريخ العلوم العربية كما ذكر ، بل إنه من كتب تراجم النحاة .

(ب) قوله : « ووضع رسالة في الجدل العلمي بين مدرستي الكوفة والبصرة . . » يقصد بها كتاب « الإنصاف في مسائل الخلاف » وهو كتاب مشهور مطبوع متداول .

(٤) ص ٤٨ س ١٢ - ١٤ قال : « . . . محمد بن عبد الملك الشتريني : أحد أئمة العربية والمبرزين فيها . . . وله من المؤلفات كتاب « تلقيح الإعراب في عوامل الإعراب » .

قلت : صوابه : تلقيح الألباب في عوامل الإعراب كما في البغية وغيرها من المصادر ومنه نسخة مخطوطة ببرلين رقمها ٦٥٢٤ .

(٥) ص ٥٠ س ٤ قال عن مقدمة الجزولي : « ويظهر أن هذه المقدمة إجابات نحوية لابن بري عن كثير من المشكلات النحوية التي كان التلاميذ يوجهونها إلى أستاذهم وهو يقرأ الكتاب لسيبويه لهم » .

قلت : وهم في الربط بين كتاب سيبويه وبين المقدمة الجزولية ، والذي أوقعه في ذلك تسرعه في قراءة قول ابن خلكان في وفيات الاعيان ( ٣ : ٤٨٨ ) : « وذكر بعض المتأخرين في تصنيفه أنه كان قد قرأ الجمل على ابن بري ، وسأله عن مسائل على أبواب الكتاب ، فاجابه ابن بري عنها ، وجرى فيها بحث بين الطلبة حصلت منه فوائد علقها الجزولي مفردة ، فجاءت كالمقدمة » .



(٩) ص ٥٨ س ١٥ - ١٦ قال عن ابن الحاجب : « فقد كان مورده من تصدره بالفاضلية لم يمكنه من الحياة الهادئة » .

قلت : لو قال لا يمكنه كان أولى .

(١٠) ص ٦٣ س ٦ قال عن كافية ابن الحاجب : « وان هذه المقدمة نفخ فيها روح الحياة ووضع فيها سر الخلود الرضي بشرحه » .

قلت : هذا كلام غير ملائم كما لا يخفى .

(١١) ص ٦٨ س ٧ ذكر من مؤلفات ابن الحاجب شرح كتاب سيبويه واكتفى بالرجوع الى كتاب « سيبويه إمام النحاة » .

قلت : يشك بعض الباحثين في تأليف ابن الحاجب كتابا كهذا ، ومما يعزز ذلك الشك :

١ - أن أحدا ممن ترجم لابن الحاجب قبل صاحب كشف الظنون لم يذكر ذلك الكتاب من مؤلفاته .

٢ - لم يذكره ابن الحاجب في مؤلفاته الأخرى وقد دأب على ذكر كتبه « فقد ذكر في أماليه مثلاً الكافية وشرحه عليها ، وشافيته وايضاحه ... » .

٣ - لم يرد للكتاب ذكر في شروح الكافية والشافية المعروفة ، ولا في المتداول من كتب النحو والشواهد ... انظر ابن الحاجب النحوي ( ص ١١٢ فيما بعدها ) .

(١٢) ص ٧١ س ٧ قال : « وكل الذين كتبوا عن ابن الحاجب ذكروا انه خالف النحاة في مواضع ، وأورد عليهم إشكالات وإلزامات تتعذر الإجابة عليها » .

قلت : هذه العبارة ليست دقيقة ، فابن خلكان ترجم لابن الحاجب في وفيات الاعيان ( ٣ : ٢٤٨ ) فما بعدها ولم يذكر الإشكالات والإلزامات التي ذكرها المؤلف ، وكذلك لم يذكرها الأذفوي الذي ترجم لابن الحاجب في كتابه الطالع السعيد ( ص ٣٥٢ فما بعدها ) .

(١٣) ص ٨٢ س ١٨ قال : « ومعنى هذا الكلام ان كتاب الجمل مدرسة قائمة بذاتها » .

قلت : أكثر المؤلف من تكرار هذه العبارة حتى أمل ، فقد ذكر ص ٤٥ ان كتاب سيبويه مدرسة قائمة بذاتها ، وذكر ص ٥٥ ان الفية ابن مالك مدرسة قائمة بذاتها ، وذكر ص ٥٩ ان كتب ابن الحاجب « كانت مدرسة قائمة بذاتها » .

(١٤) ص ٨٥ س ٣ - ٤ قال عن ابن الحاجب : « وكان يميل أحيانا إلى آراء ابي علي في كثير من المسائل النحوية » .

قلت : قال « أحيانا » ثم قال « في كثير » ولا ادري ايهما يريد ؟

(١٥) ص ١٢٦ س ١ - ٢ قال عن ابن خروف : « . . . . . واقام بحلب مدة ولعله نزح إلى القاهرة ، لأن السيوطي يروي له أبياتا في النيل » .

قلت : هذا خلط بين ابن خروف النحوي : علي بن محمد بن علي بن محمد بن خروف الحضرمي الاشبيلي ( له ترجمة في الذيل والتكملة ٣١٩/١/٥ فما بعدها ) وبين ابن خروف الشاعر : علي بن محمد بن يوسف بن



(١٨) ص ١٣٨ س ١٧ قال بعد ان ذكر مقدمة الجزولي : « وللامام ابي موسى عيسى الجزولي مقدمة أخرى كتبها حين قرأ الجمل على الإمام ابن بري » .

قلت : الصواب ان هذه المقدمة هي التي ذكرها سابقا ، وهي التي جعلها الجزولي كالحواشي على الجمل لابي القاسم الزجاجي وتسمى القانون والكراس والمقدمة الجزولية .

(١٩) ص ١٨٨ س ١ - ٣ قال عن نقول ابن مالك : « ... فمن النقول التي تعوزها الدقة قوله : « قال في شرح التسهيل : ان المضارع المتصل بنون الاناث مبني بلا خلاف . قال الاشموني : وليس كما قال ... »

قلت : الذي في المطبوع في شرح التسهيل ص ٣٩ ان المضارع المتصل بنون الاناث إنما بني لتركيبه معها ، ... ، وقيل ... . لتقصان شبهه بالاسم ، لانها لا تلحق الاسماء » . وليس فيه قوله « .. مبني بلا خلاف .. » .

(٢٠) ص ١٩٢ س ١١ قال : « ولو نظرنا الى سيبويه في كتابه لوجدنا فيه خمسين بيتا من أشعار المولدين الذين صنعوها ، ودسوها على الأئمة فاحتجوا بها ظنا أنها للعرب » . قلت : في هذا الكلام مأخذان :

(أ) في كون الأبيات التي لم تنسب لقائل في كتاب سيبويه خمسين نظر فقد ذكر الدكتور رمضان عبد التواب في مقالة له عنوانها « اسطورة الأبيات الخمسين في كتاب سيبويه » - نشرت في مجلة المجمع العلمي بدمشق ، ثم نشرت بمجلة المجمع العراقي

حروف القيسي القرطبي الذي طوف في المشرق واستقر مدة بمصر كما ذكر ابن عبد الملك المراكشي في الذيل والتكملة ( ٣٩٦/١/٥ ) فما بعدها ) وتوفي بحلب « مترديا في بئر في نحو العشرين وستمائة ) .

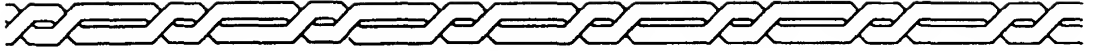
(١٦) ويتصل بما سبق قوله عن كتاب سيبويه ص ١٣٣ س ١٢ : « وشرحه من نحاة الأندلس الذين زاروا مصر وقدموا الى الاقليمين : ابن خروف باختصار حسن ، وتوفي سنة ٦٨٠ هـ » .

وفي هذا الكلام مأخذان :

(أ) أولهما أن ابن خروف الذي زار الإقليمين واستقر بمصر مدة هو ابن خروف القيسي الشاعر كما تقدم ، وشارح كتاب سيبويه هو ابن خروف الحضرمي .  
(ب) ثانيهما : ان ابن خروف الحضرمي شارح الكتاب توفي سنة ٦٠٩ هـ لا سنة ٦٨٠ هـ .

(١٧) ص ١٣٤ س ١٥ ذكر من شراح جمل عبد القاهر الجرجاني ابن خروف ، ونقل ذلك عن كشف الظنون .

قلت : وقع خلط بين شروح جمل الزجاجي وبين شروح جمل الجرجاني في كشف الظنون ، وفي تاريخ الأدب العربي لبروكلمان . والأظهر ان ابن خروف لم يشرح جمل الجرجاني فلم يذكر أحد ممن ترجم له - فيما أعلم - ذلك ، أما شرحه لجمل ابي القاسم الزجاجي فمذكور في كثير من المصادر التي ترجمت له ، والتي نقلت عنه .



( مجلد ٣٤ ص ٢٠٥ فما بعدها ) - أن في كتاب سيويه ١٣٠ موضعا لم ينسب فيها الشعر لقائل معين ، ويضاف الى هذا العدد ستة عشر موضعا نسب فيها قائل الشاهد الى قبيلة معينة ، ولا يشمل هذا العدد ما استطاع نسبته هو وغيره من الباحثين من الشواهد التي كانت غفلا .

(ب) لا ادري من أين أتى المؤلف بقوله : « . . من أشعار المولدين الذين صنعوها ودسوها على الائمة » فهل وجد نصا على ان الأبيات التي لم تنسب في كتاب سيويه مصنوعة كلها ؟ هذا ما لا أظنه إذ لم يذكر مصدره في ذلك ، وان كان معروفا ان من شواهد سيويه ما ذهب بعض العلماء الى انه مصنوع كقوله :

هل أنت باعث دينار لحاجتنا  
او عبد رب أخا عون بن مخراق

قال أبو العلاء في رسالة الغفران ( ص ٥٦٨ ) : « . . . وهذا البيت يتداوله النحويون ، وزعم بعض المتأخرين من أهل العلم انه مصنوع ، وما اجدره بذلك ، غير أن بيتا أوبيتين أو أبياتا لا تسوغ القول بأن الأبيات الغفل في كتاب سيويه مصنوعة ، ولو كانت كذلك لبينها العلماء فقد « خرج كتاب سيويه الى الناس ، والعلماء كثير والعناية بالعلم وتهذيبه اكيدة ، ونُظِرَ وفتش فيه فما طعن أحد من المتقدمين ولا أدعى أنه أتى بشعر منكر ، وقد روى في كتابه قطعة من اللغة غريبة لم يدرك أهل اللغة معرفة جميع ما فيها ولا ردوا حرفا منها » . انظر خزانة الادب ( ١ : ١٧٩ ) والشواهد والاستشهاد في النحو ( ص ٩٧ ) .

(٢١) ص ٢٠٣ س ١٨ قال : « مذهب الكوفيين هو أن الفعل المضارع مرفوع للتجرد » .

قلت : هذا مذهب الفراء كما في معاني القرآن ( ١ : ٥٣ ) ، شرح المفصل لابن يعيش ( ٧ : ١٢ ) ، شرح عمدة الحفاظ لابن مالك ( ص ١٠٩ ) ونسبه ابو البركات بن الأنباري في الانصاف ( ٢ : ٥٥١ ) الى جمهور الكوفيين وتبعه عدد من العلماء ، وعليه تكون المسألة خلافية بين المدرستين البصرية والكوفية ، والأظهر أنها ليست كذلك فقد روي أن الكسائي يرى ان المضارع ارتفع بحروف المضارعة ، وان ثعلبا يرى انه ارتفع بالمضارعة نفسها ، ونقل السيوطي عن أبي حيان أن رافعه هو التعري من العوامل اللفظية مطلقا ، وان هذا هو مذهب جماعة من البصريين وعزي في الإفصاح للفراء والأخفش . ( انظرهمع الهوامع ط الكويت ( ٢ : ٢٧٤ ) .

(٢٢) ص ٣٢٠ س ٦ ذكر في الصفحة السابقة أن ابن مالك اتجه للأخذ ببعض آراء الشلوبين كما أنه ناقشه في بعض آرائه ، ثم أورد من ذلك قول ابن مالك :

وبعد لولا غالبا حذف الخبر

حتم ، وفي نص يمين ذا استقرار

ثم قال : « قال الأشموني : واعلم ان ما ذكره الناظم هو مذهب الرماني وابن الشجري والشلوبين » .

قلت : ابن مالك آخذ برأي الرماني وابن الشجري والشلوبين لا برأي الشلوبين وحده

قلت : ليست أدري على أي اساس عدّ ابن مالك كوفياً ، لأنه وافق الكوفيين في بعض آرائهم واتجاهاتهم ؟ وهل يكفي ذلك لاصدار حكم كهذا؟ ام كان ينبغي أن يحصي المسائل التي وافق فيها الكوفيين ، والمسائل التي وافق فيها البصريين واحسب انه لو فعل ذلك لتبين ان ابن مالك سار على نهج البصريين في مسائل كثيرة لا تقل عن المسائل التي سار فيها على منهج الكوفيين .

(٢٧) ص ٣٤٢ س ٧ - ٨ قال : « وقد بينت أن أول نحوي احتج بالحديث الشريف واخذ به في تحرير القواعد النحوية ، ووضع اصولها » هو الامام ابن مالك .

قلت : سبق ابن مالك جماعة من النحاة في الاحتجاج بالحديث منهم ابو زكريا القراء ( انظر معاني القرآن ١ : ٣٠٢ ، ٣٠٣ ، ٤٦٨ . . . وابن خروف وعنه يقول ابن الضائع في شرح الجمل ( ٢ : ل ٩٦ ) ( انظر مخطوطة دار الكتب رقم ٢٠ نحو ) : « وابن خروف يستشهد بالحديث كثيراً . . »

(٢٨) ص ٢٦١ س ٤ - ٥ قال معددا مؤلفات ابن هشام « . . . ورسالته في شرح قصيدة كعب ابن زهير في مدح الرسول عليه السلام ، وشرح البردة » .

قلت : الاظهر أن ما ظنه المؤلف كتابين كتاب واحد إذ أن قصيدة كعب بن زهير في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم تسمى البردة . وقبل ان اختتم ما عن لي من ملاحظات أود أن اشير الى ان المؤلف أهمل نحاة مشاهير عاشوا

وانظر شواهد التوضيح ( ص ٦٥ ) فما بعدها .

(٢٣) ص ٢٢٩ س ١ ذكر ان البصريين تشددوا في قبول القراءات ثم قال « حتى القراءات السبع على رأي أنها متواترة » .

قلت : أساء التعبير في قوله : « على رأي أنها متواترة » ، ولا أظنه يخالف في ان القراءات السبع متواترة فقد نقل ص ٢٣٠ قول السيوطي « فان قراءاتهم ثابتة بالأسانيد الثابتة الصحيحة » .

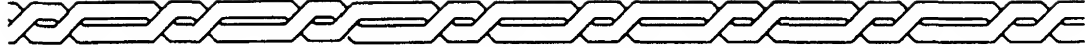
(٢٤) ص ٢٣٧ س ١٠ قال : « اما الشاطبي تلميذ أبي حيان » .

قلت : لم اجد فيما اطلعت عليه من المصادر التي ترجمت للشاطبي او لابي حيان هذه التلمذة ، ولا أدري من أين اتى بها ؟

(٢٥) ص ٢٤٩ س ١٣ قال : « وأما الشعراء الإسلاميون كجبرير والفرزدق فاكثر النحاة على عدم جواز الاستشهاد بشعرهم » .

قلت : هذا ليس صحيحاً فقد اكثر النحاة من الاستشهاد بشعر الفرزدق وجبرير وذوي الرمة والراعي وأضرابهم وتصفح إن شئت كتاب سيبويه فستجده يورد للفرزدق وحده ما يزيد على خمسين بيتاً، وتصفح كتاب الجمل لابي القاسم الزجاجي فستجد ما يقارب ثلث شواهد لشعراء أمويين .

(٢٦) ص ٣٢٩ س ٢١ قال : « وابن مالك - وهو الكوفي في آرائه ومذهبه - وافق البصريين في كثير من المسائل ، ولم يقل احد انه كان بصرياً » .



التسهيل . . . وناظر الجيش شارح التسهيل  
ايضا . . الخ

عياد الشبتي

في الفترة التي تعرض لها او لم يوفهم حقهم  
وكان المنتظر ان نجد شيئا ذا بال عن بهاء الدين  
ابن النحاس، وبدر الدين بن النازم، والمرادي  
صاحب الجنى الداني وتوضيح المقاصد وشرح

